بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٣ —

صنفه السوقي ، هل وضع له اسم عربي ، قول الثعالبي ، نقل السيوطي ، رأي السكندري ، فصيح الألفاظ في معناه

— ٤ —

ولما تألق الفالوذج في دنيا المطاعم ، وازّينت به موائد الأمراء ، تسامع به العامة ، فتحلبت له شفاههم ، وتشوفت إليه شهواتهم ، فراح السوقيون من صنّاع الأطعمة وباعتها يلهوجونه على مايعرفون من صفته ، فيخرجونه مسيخاً سليخاً لاتأنق في طهيه ، ولا استجادة لمادته ، حتى يتسنى لهم أن يبيعوه بالثمن القليل الذي لاتعجز عنه طاقة العامة من رقاق الحال وذوي العسرة . ولم يكن هذا الصنف المبتذل من الفالوذج إلا بهرجة صبغ ، وتضوّء بريق فانتضح على الأيام زيفه ، ونأرت لأذواقها الألسنة بذمه ، فقيل في كل من حسنت جهيرته ، ولم تطب سريرته : فالوذج السوق[1] وصارت الكلمة مثلاً سائراً يتناقله الأدباء والشعراء ، ومن أمثلة استعماله قول ابن حجاج ، وهو الشاعر المزاح السليط الذي ترجم[2] له الثعالبي فأوفى :

أعزز عليّ بأخلاق وُسِمتَ بها عند البرية يافالوذج السوق !

وقد أثبت الميداني هذا المثل في أمثال المولدين ، وأضاف إليه توأماً له ، ذلك هو : فالوذج الجسر[3] . ولا بد أن يكون باعة هذا الصنف الملَمْوج ذكرا يجولون به ، فيمرضونه للعامة في الطرق الصادرة الواردة . ويَدِيه أن من أحفلها بالناس : المِسْبَر . فهو ملتقى السابلة من الطبقات العاملة ، يغدون على الحاجات ؛ ويروحون بالسلَع . فيلون لهواتهم بالفالوذج المسموع به ، الشهي مذاقه ، الرائع منظره ، ومن ثم شاع اسم فالوذج الجسر ، إلى جانب فالوذج السوق ، وكأنما مثلين لذي المظهر بغير مخبر !

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء)
(٢) اليتيمة (الثالث)
(٣) الأمثال (الثاني ٣٣)

— ٥ —

أسلفنا القول في صفة الفالوذج ، على ما استنبطناه مما أنهته إلينا نقول الأدب والطرائف ، وأدرنا الحديث قبل ذلك في لفظه والوجه في تعريبه كما تعرفناه في نصوص المعجمات وما في حكمها . فبان لنا أن اللغويين مجمعون على أنه معرب ، فهو في عديد الألفاظ التي اغتنمت المعروبة ، وارتضى تجنيسها القُوّام على الفصاحة

وبقي أن نعرف : هل وضع العرب لهذه الحلواء اسماً فصيحاً غير اسمها الأعجمي ، أو اكتفوا باستعمالهم لهذا الاسم بعد تعريبه وإلحاقه ببنات الضاد ؟!

ساق الثعالبي جملة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب ؛ وقال[1] : إن العرب اضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هي ، وجعل يعد من هذه الأسماء ، فإذا من بينها الفالوذج . وقد نقل السيوطي[2] فصل الثعالبي برمته ، فما نعقبه بنقد ، ولا استدرك عليه من شيء . فهل يريدنا ذلك على أن نعتقد أن العرب اكتفوا بالاسم الأعجمي ، ووقفوا عنده ، فلم يضعوا لهذه الحلواء لفظاً تقر به عين الزارين على التعريب مهما تمس إليه الحاجة ، الضانين بالجنسية العربية على الدخيل ، وإن ملك الألسن ، وتزاحمت عليه الأحقاب ؟!

إن قول الثعالبي ونقل السيوطي خليقان أن يهيئا للباحث هذه الفريدة ، ويغرياه بها . ولعل ذلك هو الذي مهّدَ لعلامة الفقه اللغوي الشيخ أحمد الاسكندري — رضوان الله عليه — أن يقول فيما يستعمل من الألفاظ ومالا يستعمل[3] : « وإذا سبق أن استعمل لفظ أعجمي زمن العرب كالفالوذج الذي عرف من أيام الرشيد ، فمثل هذا في الواقع لم يكن من تعريب العرب ، بل أطلقه طباخ أعجمي ، وسمعه العرب واستعملوه ؛ فمثل هذا إذا وُفِّقنا إلى لفظ عربي سهل له ، استغنينا عنه ، لأن الواضع له في الحقيقة أعجمي لا عربي ... »

فأما قول العلامة الاسكندري إن الفالوذج ليس من تعريب العرب ، فهو قول ينفرد به ، ولم أجد من سبقه إليه ، بل لقد أصفق اللغويون على أنه معرب ، وقد جاء في حديث للنبي صلوات الله

(١) فقه اللغة (٤٥٤) (٢) المزهر (الأول — ١٦٣)
(٣) محاضر المجمع اللغوي (الدورة الثانية — ١٣٩)

عليه[1] ، أضف إلى ذلك أن العلماء القدامى ناقشوا فى تصريفه ، وجادلوا فى تعيين حروفه . ولا يأخذ لغوى نفسه بهذا الصنيع ، إلا إذا كان اللفظ معربا أفسح له فى البقاء ، فوجب توضيح زيه وشارته التى سيبقى بها فى وطنه الجديد . وإن لزاماً علينا أن نشير إلى أن قول الأسكندرى إنما جاء في عرض حديث شفوى شأنه الإعجال والارتجال ، وهومنقول عنه ، ومنسوب إليه ، لا مكتوب بقلمه ، ومثل هذا لايؤخذ به صاحبه كما يؤخذ الكاتب راجع ما كتب وحققه على نص ما يريد . والرجاء أن نكون بذلك قد أنصفنا ذكرى رجل نعرف له النضل والبصارة ، ونطوى له النفس على التجلة والاكبار .

وأما رغبته فى البحث عن لفظ عربى ، يوضع للفالوذج اليوم جديداً من الوضع ، فقد أداه إليها ماعلمه وقدمنا بيانه من قول فقهاء اللغة : إن العرب تركوا الفالوذج على ما هو عليه ، فأفهم قولهم هذا أنه لم يوضع له فى سالف الزمن لفظ فصيح ؛ ومن ثم وجب عنده أن نعمد إلى البحث والتفتيش حتى نوفق إلى لفظ عربى سهل ، نستغنى به عن الاسم الأعجمي ، كما توضع اليوم المصطلحات الجديدة للأشياء المستحدثة بالطرق المعروفة من نحو المجاز والنقل والاشتقاق .

— ٦ —

ولقد رصدت عينى منذ عهد ممدود لهذا الشأن فيما أرتصدناه من مباحث الفصحى ؛ فتتبعت مواقع الفالوذج فى أشتات الكتب ، وفتشت عن ألفاظه فى أجلاد الألفاظ ، واستقريت منها ماراج لى أن أستقرى ، فتحصل لى من صحاح العربية : اثنا عشر لفظاً ، وضعها العرب ليقوم كل منها مقام الفالوذج الأعجمى . ولم أر من المتحققين باللغة من استوعى هذه الألفاظ ، فلاءم بينها بعد الشتات والفرقة ، وسوى بها فصلاً من فصول الفقه اللغوى ، على نحو ما يصنع الأئمة فى المعنى يؤدى بغير لفظ فذ ، فقد ظلت هذه الألفاظ فى المعجمات اللغوية أباديد ، فجمعتها فى هذا المعرض فصل من نتاج الاستقراء والتلقط جديد ، لم يسبق إليه أحد ، فيمن أجد ، ولا مسه قلم فيما أعلم .

« للبحث صلة »

محمد شرقى أمين

(١) شفاء الغليل (١٦٨)